العلاقات العثمانية المصرية (١٨٦٣- ١٨٧٩)

نبراس خليل ابراهيم ايمان عبد الله حمود
جامعة بغداد – كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

الخلاصة

تبين الحقائق والمعلومات الواردة في محاور البحث ان العلاقات العثمانية المصرية (١٨٦٣-١٨٧٩) ، قد مرت بمراحل متفاوته بين المد والجزر ، فقد عاصر الخديوي اسماعيل ثلاثة سلاطين عثمانيين هم عبد العزيز ومراد الخامس وعبد الحميد الثاني ، ومنذ تولي الخديوي اسماعيل للحكم سعى الى توسيع استقلال مصر بالحصول على امتيازات عدة من الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر ، كي يصل بالبلاد الى الاستقلال ، وقد اختار طريق دفع الاموال والهدايا للحصول على الاستقلال ، دون اللجوء الى السلاح ، ومن هذا المنطلق بذل الخديوي الكثير من الاموال للحصول على الامتيازات ، فالدولة العثمانية لم تكن لتصدر الفرمانات الا مقابل الاموال الطائلة، ونتيجة لتلك السياسة حصل على فرمان عام ١٨٦٦ ، والذي بموجبه عدل نظام وراثة العرش ، وفرمان عام ١٨٦٧ الخاص بمنحه لقب الخديوي، الا ان مساعي الخديوي اسماعيل لكي يظهر بمظهر الملك المستقل كان سبباً في حدوث الازمة المصرية العثمانية بين عامي ١٨٦٩و١٨٧٢ غير ان طموحات الخديوي اسماعيل التي لاحد لها جعلته يسعى للتقرب الى حكومة الاستانة للحصول على المزيد من الفرمانات ، الى ان تمكن من الحصول على الفرمان الجامع لعام ١٨٧٣، والذي توج سعي الخديوي لنيل الاستقلال التام تتويجاً نهائياً .

ويتضح من الفرمانات التي حصل عليها الخديوي اسماعيل ان ارتباط مصر بالدولة العثمانية اصبح اسمياً، فلم يعد للدولة العثمانية حق التدخل في تعيين والي مصر ، فضلاً عن استقلال مصر من الناحية الاقتصادية عن الدولة العثمانية ، لاسيما بعد حصول الخديوي على الفرمان الجامع الذي بموجبة اصبح للحكومة المصرية الحق في عقد الاتفاقيات الكمركية والمعاهدات التجارية .

ومن جانب اخر ، ان سياسة الخديوي اسماعيل الخاطئة واقتراضه الاموال الطائلة من البنوك الاجنبية ، دفعت الدول الاوربية للتدخل في شؤون مصر أبّان حكمه ، حتى وصل الامر الى ان تلك الدول بدأت تخشى من عدم تسديد ديونه ، لذا ضغطت كل من بريطانيا وفرنسا على الباب العالي لعزل الخديوي اسماعيل وتم لها ذلك في السادس والعشرين من حزيران ١٨٧٩ .

The Relations Between Ottoman State and Egypt (1863 – 1879)

Nibras Khleel Ibrahim Eman Abdullah Humood
University of Baghdad - College of Education for Women – History Dept.

Abstract

Facts and information contained showing in axes Find Egyptian Ottoman relations (1863-1879), has gone through stages varying between tides, has witnessed the Khedive Ismail three sultans Ottomans were Abdul Aziz Murad V, Abdul Hamid II, and since the Khedive Ismail to judge sought to expand independence Egypt access to many privileges of the sovereign on Egypt Ottoman Empire, in order to reach the country to independence, has been chosen by the payment of money and gifts to gain independence, without resorting to arms, and from this point of Khedive make a lot of money to get the privileges, the state of the Ottoman were not to issue Farmans but against the huge amounts of money, and as a result of that policy got Furman in 1866, under which justice and inherit the throne system, and Furman in private in 1867 by granting the title of Khedive, but the efforts of the Khedive Ismail to show the appearance of the independent King was a cause of the Egyptian Ottoman crisis between 1869 and 1872 is that the Khedive Ismail ambitions that one has made him seek to get closer to the government of Astana for more than Farmans, that managed to get a firman Whole in 1873, and which culminated in pursuit of the Khedive to gain full independence, the culmination of a final, and made under its association with the Ottoman state as it were non-existent.

It is clear from Farmans obtained by Khedive Ismail of Egypt to link the Ottoman state became nominally, is no longer the Ottoman state the right to intervene in and appoint to Egypt, as well as Egypt's independence in economic terms from the Ottoman Empire.

On the other hand, the Khedive Ismail policy wrong and borrowed huge amounts of money from foreign banks, European countries pushed for intervention in the affairs of Egypt during his reign, until it came out that those countries have begun fear of non-payment of debts, so pressed by Britain and France at the Porte to isolate Alkhdioa Ismail was to do so in the twenty-sixth of June 1879

المقدمة

لم يؤدِ الفتح العثماني لمصر الى الاقلال من مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية , بل ظلت أهم ولايات الدولة العثمانية , ولأهمية مصر كان السلاطين العثمانيين يختارون لولايتها ولاة او باشوات ممن تقلدوا مناصب رئيسة منها حكم الولايات أو في البلاط العثماني ,وتأتي أهمية مصر لدى حكومة الأستانة من ناحيتين, الاولى : موقعها الجغرافي المتوسط بين الولايات العربية في المشرق العربي من جهـــة وبلاد المغرب من جهة اخرى , وثانياً : اعتماد حكومة الأستانة على مصر في تطبيق سياستها في البحر الأحمر .

تناول البحث العلاقات بين الدولة العثمانية و مصر اثناء المدة (١٨٦٣-١٨٧٩) , وهي علاقات لم تكن متكافئة لان مصر خضعت آنذاك لسيادة الدولة العثمانية , ولم يكن لها الحق في اقامة تمثيل سياسي معترف به فـــي العواصم الكبرى , أو الأعتراف بسـفارات و مفوضيات الدول فيها , وكانت قنصليات الدول في مصر تمارس نشاطها السياسي تحت اشراف سفاراتها فـــي الإستانة , وبالرغم من ذلك سعى الخديوي اسماعيل جاهداً لكي يظهر بمظهر الملك المستقل عن الدولة العثمانية وكان احد الاسباب التي ادت الى توتر العلاقات بين مصر والدولة العثمانية بين عامي ١٨٦٩و١٨٧٢.

إن بحث العلاقات بين دولتين غير متكافئتين كالدولة العثمانية ومصر في تلك الحقبة شهدت احداثاً مهمة تستحق البحث والتمعُن فيها , لاسيما وانه يتضمن جوانباً مهمةً لم تُبحث بشكل واسع من قبل الباحثين العرب , ومن هذا المنطلق تم اختيار موضوع البحث (العلاقات العثمانية المصرية ١٨٦٣-١٨٧٩) , وحدد البحث حقبة حكم الخديوي اسماعيل لأنها عُدت من اهم الحقب التي شهدتها العلاقات بين البلدين .

وحاول البحث الاجابة عن الاسئلة الاتية:

- كيف كانت سياسة الخديوي اسماعيل تجاه الدولة العثمانية ؟
- كيف تمكن الخديوي اسماعيل من تعديل نظام وراثة العرش ؟
- كيف كانت العلاقات العثمانية المصرية ١٨٦٦-١٨٦٧ ؟
- ما ابعاد الازمة العثمانية - المصرية عام ١٨٦٩ ؟
- ما موقف الدولة العثمانية ازاء مشروع الأصلاح القضائي المصري؟
- كيف كانت العلاقات العثمانية المصرية ١٨٧٥ – ١٨٧٩ ؟

سياسة اسماعيل باشا تجاه الدولة العثمانية .

تولى اسماعيل باشا [١] حكم مصر في الثامن عشر من كانون الثاني ١٨٦٣, بعد وفاة عمه سعيـــــد باشا (١٨٤٥-١٨٦٣) , وكان يبلغ من العمر الثالثة والثلاثين [٢] .

وبعد توليه باشوية مصر توجه الى الإستانة ليتسلم فرمان التولية من السلطان العثماني عبـــد العزيز . [٣] و اثناء تواجده في الاستانه وجه الدعوة الى السلطان عبد العزيز لزيارة مصر [٤] .

واصل اسماعيل باشا سياسة الاصلاحات التي بدأها عمه سعيد باشا بعد استلامه للحكم , ولم يعارض امتياز شق قناة السويس [٥] الممنوح من عمه سعيـــد باشا الى (فرديناند دي ليسبس) Ferdinand de lisps , الا انه عدَ الامتياز باهض التكاليف ومرهقاً لمصر , لذا اصدر فرماناً في الثلاثين من كانون الثاني ١٨٦٣ بتحريم أعمال السخرة في انشاء قناة السويس , ولاقى ذلك التدبير دعماً من الباب العالي , فأرسلت حكومة الاستانة مذكرتين في نيسان ١٨٦٣ متضمنة شروط للمصادقة علـــى الأمتياز , منها تحريم العمل الأجباري في القناة , وانتزاع الأراضي الممنوحة لشركة القناة [٦].

واتبع اسماعيل باشا سياسة كسب ود السلطان العثماني للحصول على الأمتيازات , وحين تولى اسماعيل باشا ولاية مصر طلب منه السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٣ إرسال جيش لمساعدة القوات العثمانية لأخماد ثورة امير عسير محمد بن عائض [٧] , إذ ثار على الدولة العثمانية واراد الاستيلاء على تهامة اليمن , وعليه جهز اسماعيل باشا جيشـــاً مكوناً من المشاة وعـــدد من المدافع والخيالة ,ولما وصل ذلك الجيش جدة طلب منه التوجه من جهة القنفذة المطله غرباً على ساحل البحر الاحمر مع القوات العثمانية [٨].

وتحمل اسماعيل باشا اجور ضباطها وجنودها , وجعـــل اجورهم ضعف ما كانت عليـه في السابق [٩] . وقد تمكن الجيش المصري بعد قتال طويل من القضاء على الفتنة , وقدم محمد بن عائض فروض الطاعة وترك المواقع التي استولى

عليها , فتوسّط له اسماعيل باشا وعفا عنه السلطان العثماني عبد العزيز بشرط ان يدفع مبلغاً معيّناً لخزينة السلطان كل سنة[١٠] .

ووفقاً لذلك , عادت الحملة المصرية الى مصر وعلى رأسها اكاليل الغار بعد القضاء على ثورة امير عسير، فأرسل السلطان عبد العزيز الى اسماعيل باشا كتاب شكر وثناء للانتصارات التي حققها الجيش المصري [١١] .

ثم قرر السلطان العثماني عبد العزيز زيارة مصر تلبيـــة لدعوة اسماعيل باشا في نيسان ١٨٦٣, لاسيما انه منذ عهد السلطان سليم الذي فتح مصر عام ١٥١٧ ، لم يزر مصر سلطان عثماني قط سوى السلطان عبد العزيز ، ولما كانت مصر احدى ولايات الدولة العثمانية المهمة ، فإن زيارة السلطان العثماني لها يعد تكريماً لاسماعيل باشا وتعظيماً لشأنه[١٢] .

ومن اهم الاسباب التي دفعت السلطان لزيارة مصر هو ان الشعب المصري لم يعد ينظر الى آل عثمان نظرتهم السابقة نفسها ، لذا اراد ان يعيد الى اذهان الشعب المصري فكرة الولاء للسلطان العثماني ، وتزامنت رغبة السلطان تلك مع تصريحه برغبته بالقيام باصلاحات، وتصميمه في بداية عهده على التعرف بنفسه على مايجري في البقاع التي يحكمها ، ولم يكن يرضَ ان يكون العوبة في ايدي مستشاريه الاوربيين ووزرائه العثمانيين ، وذكر المقربون له انه كان شديد الحساسية لعدم اكماله لتعليمه مقارنةً بتعليم ابناء الأسرة الحاكمة في مصر ، والتي كانت على النمط الاوربي ، وفي الوقت نفسه ، كانت مصر اكثر البلدان العربية استعداداً لتلقي الافكارو المؤثرات الغربية ، وكانت اكثر تطوراً حيث المنشات الزراعية والصناعية ، الى جانب الحركة التجارية النشطة ، و توفر وسائط النقل لدى حكامها في حين لاتوجد في الاستانه نفسها سكك حديد اوطرق معبدة وقنـوات عذبة ، لذا كان في مصر الشيء الكثير مما كان يريد السلطان ادخاله في ولاياته المختلفة [١٣] .

ومهما يكن من امر ، زار السلطان عبد العزيز مصر في نيسان ١٨٦٣ ، وقد احتفل به اسماعيل باشا احتفالاً كبيراً وسعى جاهداً في ان تكون تلك المقابلة فاتحة لعلاقات ودية بينه وبين الباب العالي [١٤] .

اقام اسماعيل باشا للسلطان عبد العزيز بمناسبة حضوره الى مصر حفلة كبيرة في القلعة وحضرها رجال السلك السياسي ، وقد ذكر السلطان في خطبته " لم يكن غرضي من القدوم الى مصر سوى اعطاء واليها دليلاً جديداً على حسن نيتي وتقديري الشخصي له ، ومشاهدة ذلك الجزء المهم من الامبراطورية ..... " [١٥] .

واحتفلت القاهرة في الثالث عشر من نيسان بعيد شم النسيم ، وازداد الاحتفال بهجة بحضور السلطان الذي قام بزيارة المتحف المصري ، ثم ذهب لزيارة معامل القطن والحرير ببولاق ، وفي اليوم التالي زار الاهرامات ومعه امراء البيت العثماني ،وامراء البيت العلوي ، وعدد من كبار رجال البلاطين [١٦] .

وكان من الطبيعي ، ان ينتهز اسماعيل باشا فرصة وجود السلطان في مصر والمرتبة التي حظيَّ بها لينال حقوقاً اخرى من الباب العالي ومزايا جديدة مستخدماً المال والهدايا التي غمر بها السلطان وحاشيته ، فضلاً عن اعطاء الصدر الاعظم فؤاد باشا الذي رافق السلطان في زيارته لمصر رشوة مقدارها ستين الف جنيه [١٧] .

عموماً ، أمضى السلطان عبد العزيز في ضيافة الوالي اسماعيل عشرة ايام ، وقد منحه السلطان الوسام المجيدي[١٨] . كما اكدت تلك الزيارة مركزه الادبي [١٩] . وعندما تقدم الوالي لتوديع السلطان عبد العزيز قال له السلطان " اني اعيد لك تشكراتي القلبية على ضيافتك البهية لي ولآل بيتي ، واؤكد لك اني لن انسى زيارتي لهذه الديار ماحييت...."[٢٠] .

وبعد عودة السلطان عبد العزيز الى الاستانه زينت الاستانه ثلاثة ايام [٢١] ، وعرض عليه الصدر الاعظم فؤاد باشا مقترحاً وذلك بادارة منطقة القناة وان يقيم بها التحصينات وتحرسها قوات عثمانية خشية من وقوعها في يد شركة اجنبية ، الا ان اسماعيل باشا احبط مخططه في اواسط نيسان ١٨٦٣ بتعينه حاكماً مصرياً للمنطقة معززة بقوات وطنية ، لان تحكم العثمانيين بالمنطقة يحرم مصر من مورد مهم وهو ضريبة المرور المفروضـــة على التجارة ، ولاسيما بعد اكتمال قناة الســـويس [٢٢] .

وكما ذكرنا سابقاً ، إنّ اسماعيل باشا كان مويداً لمشروع قناة السويس إلا انه في الوقت نفسه اعترض على بعض جوانب الامتياز الممنوح من عمه سعيد باشا ، لذا طلب من الباب العالي في حزيران ١٨٦٣ الموافقة على تقليل عدد العمال المسخرين في حفر القناة ، وان ترد للحكومة المصرية ما منحه اياها سعيد باشا من اراضٍ عام ١٨٥٦ ، وقد لاقى مطلبه قبولاً من الباب العالي ، لاسيما أن بريطانيا كانت تسعى لديه لالغاء المشروع ، فوافق عليهِ وهدد الشركة بايقاف العمل إن لم ترضَ به [٢٣] .

وعلى أثر ذلك ، احال دي ليسبس الخلاف الى مجلس تحكيمي ، واختير امبراطور فرنسا (نابليون الثالث) Napoleon III ككحكم غير متحيز وكان متزوجاً من ابنة خال دي ليسبس الامبراطورة (يوجين) Eugeni[٢٤] . فأصدر الامبراطور نابليون الثالث حكمه في السادس من تموز ١٨٦٤ ، وقد عد اتفاق ١٨٥٦ بمنزلة عقد يحتوي على التزامات متبادلة يجب على حاكم مصر وشركة القناة الالتزام بها ، وألزم الشركة باعادة ستين الف هكتار مربع من اراضي القناة الى الحـكومة المصرية ، وفي الوقت نفسه الزم حكومة مصر بدفع تعويض مقداره ثمان واربعين مليوناً من الفرنكات تدفع أقساطاً على مدى خمس عشر سنة [٢٥] .

وتبعاً لذلك ، عقدت اتفاقية في الثاني والعشرين من شباط ١٨٦٦ ، تضمنت شروط الامتياز الجديد التي صادق عليها الباب العالي في التاسع عشر من اذار من العام نفسه ، وبذلك فشلت مساعي بريطانيا بإلغاء المشروع ، واضطرت شركة القناة بعد فقدها القوة العاملة المجانية باختراع اجهزة ميكانيكية لاجراء عمليات الحفر [٢٦] .

تعديل نظام وراثة العرش في مصر .

منذ تولي اسماعيل باشا للحكم في مصر عام ١٨٦٣ سعى جاهداً لتعزيز سلطاته ، ولجأ الى المال لنيل مبتغاه، كلما وجد سبيلاً لذلك ، ومن المسائل التي اولاها الوالي اهمية كبيرة نظام وراثة العرش ، فسعى لدى الباب العالي لتغيير القانون الصادر به تقليد عام ١٨٤١ بشأن وراثة عرش مصر ، ذلك القانون الذي يقضي بان يؤول عرش مصر الى اكبر اولاد اسرة محمد علي باشا على غرار النظام المتبع في الدوله العثمانية [٢٧].

وعلى اساس ذلك ، اخذ وزير خارجيته بوغوص نوبار باشا [٢٨] يجس نبض السفارة الفرنسية اثناء اولى رحلاته الى الاستانه ، الا ان (مسيو اوتريه) M. Outre ترجمان السفارة ذكره باخفاق عمه سعيد باشا عند محاولته تغيير نظام الوراثة ، وحذره من إثارة الموضـــوع لعدم ملائمه الظروف ، لاسيما انه شقيق الوالي اسماعيل مصطفى فاضل [٢٩] وولي عهـده اول ضحايا التعديل الجديد ، فهو لن يتردد بشن حمله ضد ذلك المشروع لاحباطه مستغلاً مركزه كوزير للباب العالي ، وعليه فضل اسماعيل باشا التمهيد للمشروع بالمال والهدايا لنجاح مشروعه ، وتهيأت له الظروف حين ابعد مصطفى فاضل عن منصبه وسافر الى فرنسا ، وتزامن ذلك مع رغبة الباب العالي بزيادة مقدار الجزية لكون الدولة العثمانية كانت بحاجة الى الاموال [٣٠].

ولابدَّ من الاشارة ، الى أن السلطان عبد العزيز كان يرغب في تغييرنظام وراثة العرش في اسرة آل عثمان ، وكان يرغب في ان يؤول الحكم من بعده الى ولده يوسف عز الدين والى ابنه البكر من بعده ، الا أن قوة التقاليد منعته من تحقيق رغبته تلك [٣١].

ومع ذلك ، رفض الباب العالي تغيير نظام وراثة العرش في بادئ الأمر ، لعلمه انه ينتقص من نفوذه في مصر ، لاسيما ان الاسرة المالكة في الاستانه لم تتمتع بتلك الميزة ، لذا زار اسماعيل باشا الاستانه وسعى بنفسه في الامر الا انه لم ينجح في مسعاه [٣٢].

واخيراً ، تمكن اسماعيل باشا بعد سفره الى الاستانه في ايار ١٨٦٦ من نيل مبتغاه ، اذ دارت محادثات حول تعديل نظام وراثه العرش [٣٣] ، فعقد السلطان عبد العزيز مجلساً التقى بوزرائه وناقشوا الموضوع ، وحصل السلطان في ذلك الاجتماع على موافقة وزرائه ، لذا قرر ان تنتقل سلطة والي مصر من الاب الى الابن ، ثم ترك لوزرائه حق المباحثه مع الوالي اسماعيل باشا حول التفاصيل ، وفعلاً تم الاتفاق بين الوالي والوزراء في الثامن من ايار من العام نفسه [٣٤].

وتبعاً لذلك ، صدر فرمان السلطان في السابع والعشرين من ايار ١٨٦٦ بانتقال حكم ولاية مصر وملحقاتها وقائم مقاميتي سواكن ومصوع الى اكبر ابنائه ، ورغم ان ذلك الفرمان كلف الوالي اسماعيل باشا مبلغاً من المال قدره ثلاثة ملايين ، الا انه في المقابل تضمنَّ مـــزايا عظيمه لمصر ، إذ نص الفرمان على زيادة الجيش المصري الى ثلاثين ألف جندي ، واقرار حق مصر في سك نقود مختلفة العيار عن نقود الدوله العثمانية . كما تضمن منح الرتب المدنية لغاية الرتبة الثانية ، والحق بذلك الفرمان فرمان آخر في الخامس عشر من حزيران ١٨٦٦ بترتيب نظام الوصاية على من يتقلد حكم الولاية اذا كان قاصراً فتلك المزايا ولاسيما المتعلقة بزيادة عدد الجيش هي بمثابة خطوة واسعة في سبيل الاستقلال [٣٥].

والى جانب ذلك ، نص الفرمان على انه في حاله وفاة الوالي ولم يترك ولداً ذكراً ينتقل الحكم حينئذٍ الى اكبر اخوته ، وان لم يكن له اخوة ، فالى اكبر اولاد اخوته المتوفين ، ومقابل ذلك وافق الوالي اسماعيل على زيادة مقدار الجزية السنوية من ثمانين الف كيس الى مائة وخمسين الف كيس ، وزيادة عدد افراد قواته مقابل ارسال خمسة عشر الف جندي للسلطان [٣٦].

وعلى اثر ذلك التعديل الذي حصل على نظام وراثة العرش هاجم الأمير مصطفى فاضل السلطان عبد العزيز الذي حرمـه من حقه في العرش ، وكان من انشط اعضـاء جمعية تركيـــا الفتاة [٣٧] ، وكتب خطاباً مشهوراً باللغه الفرنسية بعنون (من امير الى سلطان) ، وهاجم الامير اسلوب السلطان الفردي المطلق في الحكم وطالب بادخال النظام الدستوري في الدوله واصلاحات اخرى ، وقـــــــد ترجم ذلك الخطاب الى اللغة العثمانية وتـــولت جريدة (تصوير افكاري) طبعه وتوزيعه [٣٨].

واقتصر نشاط الجمعية في اول الامر على الاجتماعات السرية والنشر وكان اعضائها يطالبون باصلاح الاوضاع دون تبديل السلطان ، وقد قرروا في احد اجتماعاتهم اغتيال عدد من الوزراء ، وكان الامير مصطفى فاضل وراء تلك الخطة ، لانه كان يدبر لمجيء نديم باشا للصدارة املاً منه في ارجاعه ولياً للعهد في مصر ، الا ان خطته كشفت فاضطر اعضاء الجمعية الى الهرب الى باريس ، والتحق بهم الامير مصطفى فاضـــل ، وبدأ حمله صحفية واسعة ضد السلطان والاوضاع القائمة انذاك ، وكان الاميرمصطفى فاضل ينفق على اعضاء الجمعية ، فضلاً عن كونه وسيطاً بين عدد من الدول الاجنبية وبين اعضاء تركيا الفتاة ، الا انه اعلن اعتذاره للسلطان عند زيارته لفرنسا عام ١٨٦٧ ، وقبل يده معلناً توبته ، ورجع الى الاستانه ، واسند اليه منصب كبيـــر تاركاً اصدقائه فـــــــي فرنســـا [٣٩].

و بعد حصول اسماعيل باشا على فرمان وراثة العرش سعى جاهداً لتجريد اخوه مصطفى فاضل وعمـــه عبد الحليم من املاكهم العقارية في مصر ، ليقضي بذلك على مطامعهم في العرش المصري قضاءً تاماً ، ونجح في ذلك بعد محاولات عدة [٤٠].

العلاقات العثمانية – المصرية ١٨٦٦-١٨٦٧

نشبت ثورة جزيرة كريت [٤١] عام ١٨٦٦ ضد الدولة العثمانية بسبب دسائس اليونانيين ، وسعيهم في ضم الجزيرة اليهم ، الا ان مصلحة الدول البحرية لم تسمح لليونانيين بسلخ تلك الجزيرة عن املاك الدوله العثمانية [٤٢]، وبسبب اخفاق الجيش العثماني في القضاء على الثورة طلبت الامدادات والدعم من مصر [٤٣].

وقد طالب الثوار الكريتيون السلطان عبد العزيز ببعض الاصلاحات ، منها تعديل نظام الضرائب ، وانشاء مجالس نيابية ، واصلاح نظام المحاكم ، وتعبيد الطرق وتحسين الموانئ ، وانشاء بنك زراعي وبناء المدارس ، واشاعة التسامح الديني بين المسلمين والمسيحين ، واحترام الحرية الشخصية ، غير ان الباب العالـــي رفض مطاليبهم ، وزود المسلمين بالسلاح فنشبت معارك فردية ، وارســـلت الحكومة العثمانية الفي جندي مـــــن الالبانيين ، واختار المسيحيون الجنرال (كالرجس) Kalergis قائداً عاماً لهم في السادس من تموز ١٨٦٦ واعلنوا رغبتهـــم في المقاومة .[٤٤]

وفي تلك الظروف ، كان اسماعيل باشا يسعى لدى الباب العالي لتعديل نظام وراثة العرش ، لذا اضطر الى تلبية طلب السلطان خشية منه وخشية من تغيير الخواطر بالاستانه عليه ، فجهز جيشاً بقيادة شاهين كنج باشا وارسلهم لمساندة القوات العثمانية التي كان الثوار الكريتيون قد ضيقوا عليهم الخناق، لاسيما بعد خيبة مساعي مصطفى باشا الكردلي المرسل اليهم في بادئ الامر من قبل الدوله العثمانية لإرضائهم حقناً للدماء [٤٥].

وقعت اولى هجمات ثوار كريت على القوات المصرية في مقاطعه ابو قرون ، وقد اصبح وضعها حرجاً للغاية بعد ان حاصرها الثوار ، ولم يمدها العثمانيون بالمؤن اللازمة لفك الحصار المفروض عليهم [٤٦].

وفي وسط تلك الاجواء ، قرر اسماعيل باشا ان يرسل النجدة الى قواته المحاصرة ، فارسل في اواسط ايلول سته الاف جندي معهم وزير الحربية المصري الفريق اسماعيل صادق ، وكانت لدى الوالي رغبة في ضم جزيرة كريت الى املاكه عن طريق استمالة السكان الى جانبه ، ليطالبوا بالانضمام اليه وذلك بمساعدة فرنسا ، الا ان فرنسا رفضت ذلك[٤٧].

وتشير بعض المصادر الى ان اسماعيل باشا اوعز الى القائد العام للجيش المصري شاهين باشا بالعمل على ترغيب سكان جزيرة كريت بالانضمام الى مصر والانسلاخ عن الدوله العثمانية ، فاستخدم شاهين باشا المال والهدايا لتحقيق ذلك ، وعندما علمت حكومة الاستانه بذلك طلبت من الوالي عزله عن القيادة ، لذا ارسل الفريق اسماعيل صادق ليحل محله [٤٨].

وتمكن الجيش المصري في اواخر عام ١٨٦٦ من سحق ثوار كريت ، والتوغـل داخل الجزيرة ، حتى انهم تمكنوا من فصل بعض فرقهم واوقعوا بهم هزيمه كبرى بالقرب من ارقاذى ، حتى ظن البعـــض ان الثورة قـد قضي عليها [٤٩].

ومـــن الطبيعي ، ان يستغل اسماعيل باشا حاجة حكومة الاستانه للقوات المصرية لاخماد الثورة ، فسعى للحصول على لقب يميزه عن سائر الولاة العثمانيين ، وقد واجه الوالي صعوبة في اقناع السلطان بذلك ، وكان اسماعيل باشا يرغب بان يلقب بالعزيز ، الا ان السلطان رفض ذلك ، وتم الاتفاق على لقب الخديوي [٥٠]. بعد ان اغدق على السلطان وحاشيته الكثير من الامـــوال والهدايا [٥١].

وقد استخدم ذلك اللقب اسلافه من الولاة المصريين ، لكن بصفه غير رسمية . كما كان الديوان المصري الاعلى يسمى (الديوان الخديوي) منذ ايام محمد علي باشا [٥٢].

وصدر الفرمان السلطاني في الثامن من حزيران ١٨٦٧ بمنحه هو وخلفائه من بعده لقب الخديوي ، بعد ان كان والياً ، وارتقى اسماعيل باشا بذلك الى مصاف الملوك [٥٣].

والى جانب ذلك ، حصل الخديوي اسماعيل بموجب ذلك الفرمان على امتيازات عدة منها ، اقرار حق الحكومة المصرية في ادارة شؤونها الداخلية والمالية ، وحقها في عقد المعاهدات الخارجية بالبريد والكمارك ومرور البضائع والركاب في داخل البلاد ، فضلاً عن اقرار حقها في شؤون الضبط للجاليات الاجنبية [٥٤].

يتضح مما تقدم ، ان الخديوي اسماعيل تمكن بواسطة المال والهدايا التي قدمها للسلطان وحاشيته ، فضلاً عن ارسال المساعدات العسكرية لاخماد ثورة كريت ، واحياناً التهديد بسحب تلك القوات من الجزيرة على ان يحصل على الامتيازات التي طالب بها [٥٥].

وتبعاً لذلك ، سافر الصدر الاعظم عالي باشا [٥٦] الذي تولى منصبه في شباط ١٨٦٧ الى جزيرة كريت في الرابـع من تشرين الاول ١٨٦٧ ، لتسكين خاطر الاعيان بمنحهم الرتب والنياشين ، وعين حسين عوني باشا قائداً عاماً للجيوش المحاربة ووالياً للجزيرة ، ولم يعد الى الاستانه الا في اوائل عام ١٨٦٨[٥٧].

وفي وسط تلك الاجواء ، فكر الخديوي اسماعيل بعد حصوله على فرمان وراثة العرش وفرمان لقب الخديوي في سحب القوات المصرية من جزيرة كريت ، لاسيما بعد تحول مجرى الحرب لصالح ثوار الجزيرة ودحرهم للقوات المصرية . كما ان الخديوي لم يكن راضياً عن موت الجنود المصريين في تلك الجزيرة لمجرد ارضاء العثمانيين ، لذا اصدر اوامره في تشرين الاول ١٨٦٧ الى قائد القوات المصرية بالعودة الى مصر [٥٨].

وعلى الرغم من الحاح الصدر الاعظم عالي باشا على ابقاء القوات المصرية، الا انه صمم على سحبها ولم يعر اي اهتمام لاوامر الوزير [٥٩].

وعند عودة الجيش المصري الى مصر استقبل استقبال الفاتحين ، واقام الخديوي اسماعيل الولائم لافراد جيشه تكريماً لهم واعترافاً بخدماتهم في ساحات القتال [٦٠].

وفي الحقيقة ، شعر الخديوي اسماعيل بعد مدة من سحب القوات المصرية من الجزيرة بوجوب كسب رضا حكومة الاستانه ، لذا اقدم على ارجاع جزءاً من تلك القوات ارضاء للصدر الاعظم عالي باشا نفسه ليحمله على تجنب رفض مشروع الاصلاح القضائي المزمـع تنفيذه في مصر ، وللتساهل في منحة امتيازات ملكية جديدة كان مقبلاً على طلبها [٦١].

وعلى ايه حال ، تمكنت الدولة العثمانية في اوائل عام ١٨٦٩ من اخماد ثورة جزيرة كريت ، وانعقد مؤتمر في باريس لتسوية المشكله ، فاصدر السلطان ارادة سنية في التاسع عشر من ايلول ١٨٦٩ فمنح سكان الجزيرة بعض الامتيازات ، واعفى اهلها من دفع اموال سنتين متاخرة عليهم ، فضلاً عن اعفائهم من الخدمة العسكرية ، وهكذا انتهت تلك الثورة التي دامت سنوات عدة [٦٢].

ابعاد الازمة العثمانية - المصرية .

بعد صدور فرمان ١٨٦٧ ، اصبحت الدولة العثمانية شديدة الحساسية لسيادتها على مصر ، ولتطلعات الخديوي اسماعيل ، حتى اعترى العلاقات العثمانية المصرية الفتور والخلاف في اغلب الاحيان [٦٣] ، فضلا عن ان الخديوي اسماعيل كان يسعى دائماً لكي يظهر بمظهر الملك المستقل عن الدولة العثمانية [٦٤], لذا اقدم على الأشتراك في معرض باريس الذي اقيم عام ١٨٦٧ [٦٥], واقام به قسماً خاصاً بمصر جمع فيه صنوف البهجة والعظمة [٦٦].

وفي تلك الأثناء , سافر السلطان عبد العزيز في الخامس والعشرين من حزيران ١٨٦٧ تلبية لدعوة الأمبراطور نابليون الثالث لحضور معرض باريس [٦٧] , وكان الخديوي اسماعيل حريصاً على مغادرة فرنسا قبل وصول السلطان لزيارة المعرض كي لا يظهر امام الفرنسيين بمظهرالوالي التابع له كالوزراء العثمانيين , الا ان السلطان طلب منه عدم مغادرة فرنسا لحين وصوله اليها [٦٨] .

وقبل عودة الخديوي اسماعيل الى القاهرة من رحلة المعرض في السادس عشر من ايلول ١٨٦٧ زار الاستانة وسمع فيها عن ارتباكات الوضع المالي في مصر ومع ذلك استمر باقامة حفلات للسلطان واسرته وحاشيته والانفاق بسخاء كبير , وعند عودته الى مصر بدأ يفكر بعقد قرض جديد آنذاك اذ واجه صعوبة في الحصـــــول عليـــه الى ان وافـــــق بنك (اوبنهايم البريطاني) British Bank Oppenheim والبنك الامبراطوري العثماني على اعطائه القرض , وابرم العقد في الاول من حزيران ١٨٦٨ في الاسكندرية [٦٩].

وسافر الخديوي اسماعيل الى الاستانة في نهاية حزيران ١٨٦٨ , وفي اثناء سفره منح السلطان الاميـــر توفيق [٧٠] ولي العهد في مصر رتبة المشير ودرجة الوزير , واصدر الخديوي اوامره الى الامير توفيق للحضور الى الاستانة لشكر السلطان وفعلا لبى الدعوة ورفع الخديوي وولده ايات الشكر للسلطان على مشاعره الطيبة نحوهما وعاد الامير توفيق وبقي الخديوي في الاستانة لدعم علاقاته الودية مع السلطان عن طريق الهدايا المالية والنوعية له ولحاشيته , ونلاحظ كيف ان الخديوي اسماعيل بدد جزءاً كبيراً من قرض عام ١٨٦٨ من اجل مصالحه الشخصية ثم عاد الى الاسكندرية في الثاني والعشرين من ايلول من العام نفسه [٧١] . بعد ان ذهب جزء كبير من القرض لأتمام القصور التي قام ببنائها والرشاوي التي منحها من اجـــل دوام نفوذه والحصول على الامتيازات وعلى حفلة افتتاح قناة السويس [٧٢] .

وبعـــــد الانتهاء من قناة السويس ، حدد يوم السابع عشر من تشرين الثاني ١٨٦٩ موعداً للأحتفال بأفتتاح القناة [٧٣] , وتكفل الخديوي بنفسه بأقامة حفل الافتتاح على نفقته الخاصة , وسعى لجعلها على درجة من العظمة والفخامة لتلائم ذلك المشروع وحدد الاسماعيلية مكاناً لأقامة الحفلة [٧٤]

وعليه , سافر الخديوي اسماعيل في صيف ١٨٦٩ لدعوة ملوك اوروبا واباطرتها لحظور حفل الافتتاح , وقد اخبر حكومة الاستانة بان سبب زيارته لاوروبا هوللعلاج من مرض في الحنجرة , وعندما علم السلطان عبد العزيز بالسبب الحقيقي غضب كثيراً لانه لم يتلق دعوة من الخديوي وهـــو سيد البلاد ، فضلاً عن دعوة الخديوي ملك اليونان (جورج الاول) George 1st لحضور الحفلة والذي كان عدواً للسلطان عبد العزيز [٧٥] . كما انه لم يوجه الدعوة باسم السلطان وانما باسمه [٧٦].

ومما زاد الامر سوءاً كره الصدر الاعظم عالي باشا الشخصي للخديوي إسماعيل لاسباب عدة منها ، سحب القوات المصرية من جزيرة كريت ، وما اظهره من تودد واكرام لملك اليونان ، فما ان علم بالسبب الحقيقي من رحلته الى اوربا حتى سعى جاهداً لاثارة السلطان عليه بسبب عدم دعوته له قبل الجميع بصفته سيد مصر [٧٧]. فضلاً عن انزعاج الباب العالي من زيادة الجيش المصري وتسليحه بأسلحة من الطراز الحديث واضافة ثلاث فرقاطات مدرعة الى اسطوله الحربي ، لذا ارسل الصدر الاعظم عالي باشا منشوراً الى جميع سفراء الدول الاوربية امرهم فيه بالاحتجاج على عمل الخديوي وعدّه خارجـــاً عن حدود اللياقة متجاوزاً حقوق السيادة المفروضة عليه من قبل الدولة العثمانية [٧٨]. كما طالبت بعض الصحف العثمانية بخلع الخديوي اسماعيل من منصبه وارجاع مصر ولاية عثمانية كبقية الولايات الاخرى طبقاً للفرمانات [٧٩].

وفي اثناء جوله الخديوي لدعوة ملوك اوربا الى الحفله ارسل الباب العالي دعوة له للتوجه الى الاستانه قبل عودته لمصر ليقدم الايضاحات المطلوبه منه [٨٠]. الا ان الخديوي عاد الى الاسكندرية في الثامن والعشرين من تموز عام ١٨٦٩دون المرور بالاستانه كما طلب منه السلطان مما جعل الباب العالي يقتنع بان الخديوي يسعى للانفصال عن الدولة العثمانية ، كما سرت اشاعة حول توجه اسطول عثماني الى مصر لايقاف الوالي عند حده [٨١]. وبدوره كلف الخديوي

اسماعيل كتاباً وصحفيين من انصاره لتفنيد مزاعم الباب العالي ودحضها ،وعد بعض اعماله مضرة بالدوله العثمانية ، في حين ان الخديوي قدم الكثيـــر لمصر كتسليح الجيش المصري باسلحة حديثة الطراز وبناء الفرقاطات المدرعة [٨٢].

وفي وسط تلك الاجواء ، وصلت رساله الصدر الاعظم عالي باشا الى الخديوي اسماعيل في اوائل اب من العام نفسه متضمنة شكاوي الباب العالي ومطالباً الخديوي بتقديم ايضاحات سريعه ، ذاكراً في الرساله نقمه الشعب المصري عليه [٨٣]. وامر الصدر الاعظم بترجمة الرسالة المرسله اليه الى اللغة العربية وتعليقهـــا على المؤسسات الحكومية في الاسكندرية ، فتجمهر المصريون واخذوا يعلقون عليها ، لذا سعى الخديوي لانهاء الازمة التي اشتعلت بينه وبين السلطان فارسل برقية في الرابع من ايلول من العام نفسه الى الصدر الاعظم عبر فيها عن مشاعر الولاء للسلطان ثم ارسل خطاباً الى السلطان يفيض بالاحترام والولاء وارفقه بمبلغ مقداره خمسة عشر مليون فرنك هدية شخصية له مما دفع السلطان لتأجيل البحث في اسباب الازمة الى مابعد الانتهاء من حفلـة افتتاح القناة ، وفي الوقت نفسه اصر على مقاطعة الحفلة [٨٤].

وعلى اية حال ، اقام الخديوي اسماعيل حفلة افتتاح القناة التي دعا اليها ملوك اوربا وامرائها وعلمائها وادبائها [٨٥]، وقد اجاب الدعوة عدد كبير منهم وفي مقدمتهم الامبراطورة (يوجين)زوجة الامبراطور نابليون الثالث وامبراطور النمسا وولي عهد المانيا [٨٦].

وكجزء من رغبة الخديوي اسماعيل في الاستقلال عن الدوله العثمانية وتأسيس دولة خاصة به سعى الى جعل القاهرة عاصمة على الطراز الحديث عن طريق اهتمامه بالبناء العمراني فيها وسعيه لاتمام قناة السويس [٨٧]. وقد بالغ الخديوي في الانفاق على الحفله لرغبته في الحصول على مساعدة او على الاقل الدعم المعنوي لملوك اوربا وقادتها في محاوله منه للحصول على الاستقلال عن الدولة العثمانية [٨٨]. ونتيجة لذلك ازداد عداء الصدر الاعظم عالي باشا له ، لاسيما وانه كـــان يرفض الرشوة [٨٩].

ويعد فتح قناة السويس في عهد الخديوي اسماعيل من اكبر احداث القرن التاسع عشر [٩٠]. وكان الخديوي عازماً على اعلان استقلال مصر بعد انتهاء حفلة الافتتاح ، الا ان تردد بعض الحكومات الاوربية في تأييده لاهدافه جعله لايقدم على ذلك [٩١].

وعلى اثر تلك الاحداث ، اصدر الباب العالي فرماناً في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٨٦٩ ، تم بموجبه منع الخديوي من عقد قروض جديدة آنذاك بدون موافقة الباب العالي والزمه بعرض الميزانية العامة والدخل والمصروفات على الباب العالي ، كما منعه من بناء السفن الحربية من دون استئذان وموافقات السلطان [٩٢]، و كان ذلك الفرمان ضربة قوية للخديوي اسماعيل ، اضطر الى قبوله صاغراً [٩٣].

وفي وســط تلك الاجـــــواء ، تحدث الخديوي اسماعيل مع قنصل فرنســـــا (المسيومونموران) M.Monmoran في الثالث والعشرين من حزيران ١٨٧٠ ، قائلاً له " لاتفتأ الدول تدعوني الى التسليم ، فتارة فرنسا واخرى انكلترا ، غير ان لكل شي حد ، فلحقوق السيادة حد ، ولالتزامات التابع حد ، ولابد لي من الاحتفاظ بهيبتي ازاء اتباعي ....." [٩٤].

وتبعاً لتلك الاحداث ، سعى الخديوي لتحسين علاقته بالدوله العثمانية ، لذا سافر الـــــى الاستانه في حزيران ١٨٧٢ ، لزيارة السلطان عبد العزيز ، واغدق الاموال والهدايا على السلطان وحـــاشيته ، وعلى اثرها اصدر السلطان فرمانين في شهر ايلول من السنه نفسها ، الاول: في العاشر من ايلول ثبتت بموجبه الامتيازات السابقة الممنوحة للخديوي اسماعيل ، والثاني : في الخامس والعشرين من ايلول الغى بموجبه فرمان عام ١٨٦٩ ، وخوله حق الاستقراض متى شاء وكيفما شاء ،وبذلك انتهت الازمة العثمانية المصرية [٩٥].

ولابد من الاشارة ، الى ان فرمان عام ١٨٧٢ صدر من السلطان دون علم الديوان في مقابل تسعمائة الف جنيه قدمت للسلطان شخصياً ، فضلاً عن الاموال المقدمة للصدر الاعظم محمـــود نديم باشا ووزير الحربية وموظفي السراي[٩٦].

وفي ظل اجواء التحسن ، زار الخديوي الاستانه في صيف ١٨٧٣ ، ليحصل على فرمان جامع للمزايا التي نالتها مصر ، وفعلاً نال مبتغاه ، فاصدر السلطان في الثامن من حزيران ١٨٧٣ الفرمان الجامع ، الذي تبث بموجبه المزايا الواردة في الفرمانات السابقة [٩٧]. واكد الفرمان على ان تؤول وراثة العرش لاكبر انجال الخديوي ، واعترف بان السودان ومافتحه الخديوي من جنوب السودان وشماله من الأملاك الخديوية المصرية . كما اعترف بحق الحكومة المصرية في سن القوانين والنظم الداخلية وعقد الاتفاقيات الكمركية والمعاهدات التجارية وحقها في الاقتراض من الخارج بغير استئذان الباب العالي ، مع زيادة عدد الجيش المصري وبناء السفن الحربية [٩٨].

الى جانب ذلك ، ثبت ذلك الفرمان حق مصر في الاستقلال الذاتي فيما عدا دفع الجزية السنوية وعدم عقد المعاهدات السياسية والتمثيل الخارجي ، وعدم صنع المدرعات الحربية ، وهكذا ارسى ذلك الفرمان الاساس الذي استند اليه استقلال مصر قبل الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ [٩٩]. كما حول ذلك الفرمان سيادة الدولة العثمانية على مصر الى مجرد اســـــــــم ، وبذلك تمكن الخديوي اسماعيل مـــــــن الحصول على امتيازات عدة لمصر دون سفك الدماء[١٠٠].

موقف الدولة العثمانية من مشروع الاصلاح القضائي في مصر .

بعــد ازدياد عدد الجاليات الاجنبية في مصر في القرن التاسع عشـــــر، وجدت سبع عشرة محكمة قنصلية مختلفة ، لكل واحدة منها قانوناً مختلفاً وقد تكرر حدوث تضارب في الاحكام عندما يكون احد اطراف النزاع مواطناً عثمانياً ، او عندما يكون الطرفان من رعايا دول مختلفة ، وفي اغلب الاحيان كان التحكيم يخضع للضغط الدبلوماسي ، واصبحت الجاليات الاجنبية ومن يتصلون بها من اصحاب الامتيازات في مصر في مأمن من تفتيش الشرطة لمحال اقامتهم ، فضلاً عن تهربهم من دفع جزءٍ كبيرمن الضرائب المحلية [١٠١].

وعندما تولى الخديوي اسماعيل الحكم طلب من وزيرخارجيته نوبارباشا التمهيد لمشروع الاصلاح القضائي ، والذي بدوره رفع تقريراً في عام ١٨٦٧ الى حكومة الاستانة وسفراء الدول فيها ذاكراً فيه " ان الحكومة المصرية دفعت في اربعة اعوام ١٨ مليون فرنك تعويضات للاوربيين ، وان هذا المبلغ الجسيم لم يدفع الا تحت ضغط القناصل الاوربيين...." [١٠٢]. وقد وضع نوبار باشا مذكرة في اب ١٨٦٧ ، اوضح فيها الملامح العامه للمحاكم المختلطة التي من المقرر ان تحل محل المحاكم القنصلية في مصر [١٠٣].

ورفض الباب العالي مشروع الاصلاح القضائي رفضاً تاماً في بادئ الامر ، ونظر للمشروع برمته من الوجهة السياسية فلا يرى ان يكون لمصر مركزاً استثنائياً في النظام القضائي ، فأما ان يتناول الاصلاح السلطنه كلها ، والا فأنه لن يطبق في ولاية واحدة دون سواها ، الا ان نوبار باشا لم ييأس من المشروع واستمر في محاولاته [١٠٤].

وادرك الخديوي ان الدول الاوربيـــــة لم تسمح له باستخدام القوة لانتزاع موافقة حكومة الاستانه على المشروع ، فكان عليه ان ينتزع موافقتها باشباع جشع الموظفيين العثمانيين [١٠٥] ، اما الدول الاوربية فرفضت مشروع الاصلاح القضائي ، لذا استمرت مساعي نوبار باشا شهوراً تحولت الى سنين [١٠٦].

فأقدم الباب العالي على وضع العقبات في سبيل افشاله بحجة انه مخالف للشرع ، فرفض السلطان وعلماء القاهرة ادخال ذلك الاصلاح ، إذ عدّوه اعتداءً على حقوقهم ، معلنين ان ذلك التغيير مخالف للدين الاسلامي ، لذا اقدم الخديوي على عزل المفتي الذي افتى بذلك ثم استبدله باخر وافق على انشائها ، عندها لم تبدِ اي جهة معارضتها من تلك الناحية[١٠٧].

ومع ذلك ، استمر نوبار باشا بمساعيه لدى الباب العالي الى ان وافق مبدئياً بشروط وتعديلات توجب ادخالها في المشروع ، بعد ذلك ارسل الصدر الاعظم عالي باشا الى سفراء الدولة العثمانية في عواصم الدول الاوربية اوضح لهم مصادقة الباب العالي على المشروع القضائي المصري بشرط ان لاتكون المحاكم الجديدة مختصة بنظر القضايا التي تحدث بين الاهالي مع بعضهم البعض ، ولابالحكم علـــى الموظفين المتجاوزين لحدود وظائفهم ، وطلب من اولئك السفراء تعضيد نوبار باشا في مساعيه [١٠٨].

وبذل الخديوي اسماعيل في تحقيق ذلك الحلم الشيء الكثير لحمل الدول الاوربية على الموافقة على انشاء نظام المحاكم المختلطة في مصر ، وبذا حوكم الاجانب المقيمين في مصر امــام المحاكم المختلطة ، وهي محاكم مصرية تصدر احكامها باسم سيد البلاد ، واول الدول التي وافقت على تلك الفكرة بريطانيا ثم بروسيا ثم النمسا ، و انفق الخديوي شيئاً من المال في الاستانه بواسطة وسيطه ابراهام بك الارمني مما كفل له موافقة حكومة الاستانه وروسيا [١٠٩].

وانتهت المباحثات حول مشروع الاصلاح القضائي عام ١٨٧٥ ، باتفاق الدول ماعدا فرنسا على انشاء المحاكم المختلطة التي سميت (محاكم الاصلاح) ،وفي العام نفسه عين مستشارين وقضاة تلك المحاكم واستقبلهم الخديوي في الثامن والعشرين من حزيران ١٨٧٥ في قصر راس التين [١١٠].

وكانت فرنسا اخر دولة وافقت على المشروع ، وجاءت موافقتها في كانون الاول ١٨٧٥ بعد ان اخبرتها حكومة مصر بانها ستفتح المحاكم المختلطة من غير اشتراكها ، وانها ستلغي المحاكم التجارية في الاسكندرية [١١١].

عموماً ، افتتح رياض باشا ناظر الحقانية (وزير العدل) في الاول من كانون الثاني ١٨٧٦المحاكم المختلطة في حفل اقيم بسراي محكمة الاسكندرية [١١٢]، وفي خطاب الخديوي اسماعيل في حفل الافتتاح ذكر قائلاً [١١٣] : " هذا اليوم ايها السادة يجب ان يسجل في تاريخ مصر ، وسيكون بداية عهد جديد من الحضارة ، وانا بعون الله واثق ان المستقبل مضمون لعملنا العظيم ".

العلاقات العثمانية ـ المصرية ١٨٧٥-١٨٧٩ .

تاثرت العلاقات العثمانية المصرية نتيجة تفاقم الازمة المالية في كل من مصر والدوله العثمانية في اواسط السبعينيات من القرن التاسع عشر ، ففي الرابع من تشرين الثاني ١٨٧٥ اعلن الباب العالي بان نصف الفائدة المستحقة على الدين العثماني العام ستدفع نقداً لمدة خمسة اعوام اعتباراً من بداية عام ١٨٧٦ ، وان النصف الثاني يستلمه الدائنون على شكل سندات من الخزانة العثمانية بفائدة ٥% ، وذلك يعنـــي افلاس الدولة العثمانية ، ولما كانت مصر مرتبطة بها ، فقد استبد القلق بدائني مصر خوفاً من اقتداء الخديوي بالسلطان عبد العزيز في اعلان افلاسه فتزعزعت الثقة به وهبطت اسعار السندات المصرية ، وتدهورت الحاله المالية الى ادنى درجة ، وامتنعت المصارف عن تسليف الخديوي [١١٤].

وعلى ايه حال ، بلغت ديون مصر في اواخر عام ١٨٧٥ احدى وتسعين مليون جنيه ، لذا قرر الخديوي اسماعيل بيع حصة مصر من اسهم قناة السويس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٨٧٥ ، واشتراها منه رئيس وزراء بريطانيا (بينجامين دزرائيلي) Benjamin Desraeli(١٨٧٤-١٨٨٠) بثمن زهيد لايتجاوز اربعة ملايين ليرة استرلينية[١١٥].

وفيما يتعلق بموقف الباب العالي من بيع اسهم القناة ، فقد غضب كثيراً لعدم مفاتحته بالموضوع قبل بيع الاسهم ، الا ان مصير الدولة العثمانية المالي والسياسي بيد بريطانيا منع ساسة الدولة من الافصاح عن غضبهم ورفضهم عملية البيع[١١٦].

ومن جهة اخرى ، اشتعلت نار الفتنة في شبه جزيرة البلقان في عام ١٨٧٥ ، وقد طلب السلطان الدعم من الخديوي اسماعيل فامده بجيش قوامه سبعه الاف مقاتل ، وقد ابلى المصريون بلاءً حسناً وفي اثناء تلك الحرب عزل السلطان عبد العزيز في الثلاثين من ايار ١٨٧٦ [١١٧] ، بانقلاب دبره وزير الحربية (سر عسكر) انذاك حسين عوني باشا ، والصدر الاعظم رشدي باشا ومدحت باشا ووزير البحرية احمد باشا ووزير المدارس العسكرية سليمان باشا وقائد حامية الاستانه مصطفى سيفي باشا ، ووقف وراء الانقلاب كل مـــن بريطانيا وفرنسا ، وكان ولي العهـــــد مراد [١١٨] ، وشيخ الاسلام خير الله افندي على علم بالانقلاب ، وقد اصدر شيخ الاسلام فتوى بخلعه [١١٩].

ومن الواضح ، ان من الاسباب التي دفعت بريطانيا وفرنسا لتقدم على خلعه ، هي سياسة السلطان الخارجية ، اذ اخذ بالابتعاد عن الدول الغربية ، والتحالف مع روسيا ، فكان يسعى لوضع اساس معاهدة هجومية ودفاعية معها ، وعليـه اخذت الدول الاوربية تجري اتصالات مـــع الصدر الاعظم ومسؤولي الاستانه تقنعهـــــم بعدم اهلية السلطان للحكم[١٢٠].

واضطر السلطان عبد العزيز التنازل عـــــن العرش لصالح ابن اخيه مـــــراد الذي تولى العرش باســـم (مراد الخامس) [١٢١]، ولم تمض ايام قلائل على استلامه للحكم حتى توفي عمه السلطان عبد العزيز واختلفت الاراء حول وفاته ، فهناك من قال انه مات منتحراً بقطع شرايين يده بمقص ، والبعض الاخر قال انه قتل [١٢٢].

وبعد مبايعة السلطان مراد ، اصبح مركز الخديوي حرجاً ، لاسيما ان السلطان كان عازماً على الغاء فرمان عام ١٨٦٦ المتعلق بنظام وراثة العرش ، اما الشعب المصري ، فقد ابتهج بخلع السلطان عبد العزيز ، اذ عدّوا طريقه خلعه أنموذجاً حسناً للتخلص من حكم الخديوي اسماعيل نفسه ، اذ كان المصريون يتمنون خلعه لاسيما بعد ازدياد الضرائب والعنف المتبع في جبايتها [١٢٣].

وبعد مدة قصيرة من تولي مراد الحكم ، ظهرت عليه علامات الاضطراب العقلي ، لاسيما بعد وفاة عمه ، ومقتل عدد من الوزراء على يد الامير يوسف عز الدين ابن السلطان المخلوع عـــبد العزيز ، لذا قرر بعض الوزراء خلعه وتولية اخية عبد الحميد [١٢٤] ،بعد ان انتزع منه مدحت باشا وعداً باعلان الدستور [١٢٥].

فتولى عبد الحميد الحكم في الحادي والثلاثين من اب ١٨٧٦ ، واتخذ لنفسه لقب (عبد الحميد الثاني) ، واصدر اوامره بتعيين مدحت باشا صدراً اعظم [١٢٦] ، وكان عبد الحميد قد زار مصر مع عمه عبد العزيز في نيسان ١٨٦٣ ، ولم يعجبه اثناء وجوده في مصر الزيف الكاذب للبريق الاوربي والاخذ بالشكليات الاوربية ، مما جعل مصر تستدين وتغرق في الديون نتيجة لاسراف الخديوي ومحاولته جعل مصر جزءاً من اوربا [١٢٧].

وما ان تولى عبد الحميد الحكم ، حتى سعى الصدر الاعظم مدحت باشا لاقناعه بالغاء فرمان عام ١٨٧٣ ، الا ان السفير البريطاني تدخل في الامر ومنعه من ذلك ، فضلاً عن ان السلطان عبد الحميد كان راغباً في اقامة علاقات حسنه مع مصر ، لذا اقدم على تعيين ابراهام بك وسيط اسماعيل في الاستانه عضواً في المجلس العالي [١٢٨].

وفي العام الذي تولى فيه السلطان عبد الحميد الحكم ، افلست مصر واصبحت ضحية سهلـــة للسيطرة الاجنبية[١٢٩]، اذ بدأت البعثات المالية الفرنسية والبريطانية تفد الى مصر ، وفرضت رقابة على المالية المصرية ، وانشئ صندوق الدين الاوربي للمحافظة على مصالح الدائنيين [١٣٠].

والى جانب ذلك ، زادت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الثورات المدعومة من روسيا والدول الاوربية في البلقان واليونان وغيرها من اقاليم الدولـه العثمانيـــــة ، الا ان الدولة العثمانية تمكنت من تحقيق انتصارات رائعة في البلقان ، لذا استعدت روسيا لاعلانها الحرب على الدولة العثمانيـة في عام ١٨٧٧ [١٣١] ، وانضمت الى روسيا رومانيا ، ودخل العثمانيون في حرب طاحنة مع الروس ، وقد حقق الروس انتصارات على الجيش العثماني واستولوا على بعض المدن التابعة للدولة العثمانية ، فضلاً عن استيلائهم على بعض النقاط المهمة والمعابر المؤدية الى البلقان ، فعمل السلطان عبد الحميد على تغيير قيادات الجيش العثماني للتصدي للغزو الروسي [١٣٢]،كما طلب من الخديوي اسماعيل ارسال جيش دعماً للقوات العثمانية ، وكان وضع الخديوي حرجاً جداً ، الا انه في الوقت نفسه لم يرد اثارة غضب السلطان العثماني في تلك الظروف العصيبة فصمم على اجابة طلبه ، ونظراً لان خزينه مصر كانت خاوية ، مما دفعه الى فرض ضريبة الحرب بعد اخذ موافقة مجلس شورى النواب ، وقدرها (١٠%) من مجموع الضرائب لسد نفقات الحملة ، فأعد الخديوي جيشاً تعداده اثنى عشر الف مقاتل بقيادة نجله الامير حسن ، فتوجه الجيش المصري الى وارنة احد ثغور البحر الاسود ،وقد ابلى المصريون بلاءً حسناً في الحرب وظلوا مشتركين بها الى ان وضعت الحرب اوزارها فـــي اذار ١٨٧٨ [١٣٣] بعد الهزائم المتوالية التي لحقت بالقوات العثمانية في اوربا واسيا ، واضطرت الدولة العثمانية على اثرها الدخول في هدنـــــه مع الروس وقبول المفاوضات معهم [١٣٤] ، التي انتهت بعقد معـــــاهدة (سان ستيفانو) Sanstefano [١٣٥]التي كانت مجـــحفة بحق الدولة العثمانية لذلك استبدلت بمعاهدة برلين في تموز ١٨٧٨ والتي من نتائجها استقلال البلغار والصرب والجبل الاسود ، واحتلت النمسا البوسنه والهرسك ، اما بريطانيا فاستولت على جزيرة قبرص [١٣٦].

وفي عامي ١٨٧٧و١٨٧٨ وقعت مجاعة في مصر ومات عدد كبير من المواطنين بسبب الجوع ، لذا اجبر الخديوي اسماعيل في عام ١٨٧٨ على قبول قرارات المندوبين الاجانب والخضوع للحكم بواسطة الاوصياء وعينت

حكومة على رأسها نوبار باشا في الثامن والعشرين من اب ١٨٧٨ ، وكان يسيطر عليها فعلياً وزيران اوربيان أحدهما بريطاني والأخر فرنسي [١٣٧].

عملت وزارة نوبار باشا التي اطلق عليها المصريون تسمية (الوزارة الاوربية) الى ضغط مصروفات الدولة فأحالت مئتين وخمسين الف ضابطٍ مصري على التقاعد وتأخرت في دفـع استحقاقاتهم ، فقام الضباط المتقاعدون بمظاهرة امام وزارة المالية مطالبين باعادتهم الى الجيش ودفع رواتبهم وضربوا رئيس الوزراء ووزير المالية [١٣٨].

وعلى اثر تلك الاحداث ، استقال نوبار باشا وابدى الخديوي اسماعيل رغبته في استعادة نفوذه بتولي رئاسة الوزارة بنفسه ، الا ان الدول الاوربية عارضت ذلك ، واجبروه على تعيين الامير توفيق لرئاستها فـي الثاني والعشرين من اذار ١٨٧٩ ، وان يكون للوزيرين الاوربيين حق الاعتـــــراض(VitO) ، الا ان تلك الوزارة لم تدم طويلاً [١٣٩]، وتألفت وزارة برئاسة محمد شريف باشا التي عرفت بالوزارة الوطنية في الثامن من نيسان ١٨٧٩ ، وقد ابعدت الوزيرين الاوربيين منها ، وفي الرابع من ايار اخبر الخديوي اسماعيل بريطانيا وفرنسا ، ان الرأي العام المصري لن يسمح بدخول الاجانب في الوزارة [١٤٠].

فطلبت الدول الاوربية من اسماعيل التنازل عن العرش ، الا انه رفض ذلك واحال الامر الى السلطان عبد الحميد الثاني ، فاستخدمت الدول نفوذها وقامت بتهديد الباب العالي لعزل الخديوي اسماعيل[١٤١]، وكان الخديوي يأمل بان يرفض السلطان عبد الحميد تلبية مطالب الدول الاوربية ، وارسل طلعت باشا الى الاستانه وهو احد افراد حاشيته ليستميل السلطان الى جانبه وزوده بالرشاوي والهدايا ، الا ان السلطان وافق على خلعه [١٤٢] ، فأرسل الصدر الاعظم في السادس والعشرين من حزيران ١٨٧٩ الى اسماعيل باشا برقية جاء فيها " ... اصدر جلالة السلطان ارادته بناء على قرار مجلس الوزراء باسناد منصب الخديوية المصرية الى صاحب السمو توفيق باشا " [١٤٣].

وبعد خلع الخديوي اسماعيل غادر مصر متجهاً الى اوربا وبقي فيها حتى عام ١٨٨٨ ، ثم انتقل الى الاستانة فتوفي في السادس من اذار ١٨٩٥ وله من العمر خمسة وستين عاماً فحملت جثته الى مصر ودفنت فيها [١٤٤].

الهوامش

١- اسماعيل ، خديوي مصر ولد عام ١٨٣٠ ، وهو ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ، تربى في مدرسة انشأها جده محمد علي باشا في القصر العالي ، ثم التحق بالبعثة المرسلة الى باريس ، وقد تلقى فيها التعليم واتقن الفرنسية واعجب بباريس ، وبعد ان اصبح ولياً للعهد عام ١٨٥٨ ، استخلفه عمه سعيد باشا مرتين عند سفرة خارج مصر عام ١٨٥٩وعام ١٨٦١ . توفي في الاستانة عام ١٨٩٥ ودفن في القاهرة. للمزيد ينظر :-
Arther Goldschmidt JR., Abrief History Of Egypt , New Yourk , 2008 ,p.77.

٢- بيتر كرابيتس ، اسماعيل المفترى عليه ، ترجمة : فؤاد صروف، دار النشر الحديث ، القاهرة ، د.ت ، ص٣٨.

٣- عبد العزيز ، وهو السلطان الثاني والثلاثون من ال عثمان ، ولد في الثامن من شباط ١٨٣٠ في الاستانة ، وهو ابن السلطان محمود الثاني ، تولى العرش عام ١٨٦١ بعد وفاة اخيه السلطان عبد المجيد .للمزيد ينظر :-
Gabor Agoston and Bruce Masters , Encyclopedia Of The Ottoman Empire , New Yourk , 2009 , p.5.

٤- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤٧.

٥- اصدر سعيد باشا في الثالث من تشرين الثاني ١٨٥٤ مرسوماً اعطى بموجبه صديقه فرديناند دي ليسبس قنصل فرنسا في الاسكندرية ، ترخيصاً بإنشاء شركة تعمل على ربط البحر الاحمر بالبحر المتوسط بطرق مائية ، وقد عارضت بريطانيا المشروع . كما وضعت الدولة العثمانية العقبات في طريق انشائه مدفوعة من بريطانيا ، الا ان سعيد باشا تجاهل التأنيب واصدر مرسوماً ثانياً في الخامس من كانون الثاني ١٨٥٦ اكد فيه على المرسوم الاول ، وأخذ على عاتقه شراء ٤٤% من اسهم شركة القناة ، فضلاً عن فرض نظام السخرة على المصريين ، الى جانب تقديمه مبلغاً ضخماً من المال لاكمال المشروع . للمزيد ينظر :-
نجيب صالح ، تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦-١٩٥٦ ، دار اقرأ ، بيـــــروت ، ١٩٨٥ ، ص٢٠-٢١.

٦- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة : عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ ، ص١٨٩.

٧- الياس الايوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا من سنه ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٩ ، المجلد الثاني ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٢٣٥.

٨- احمد عبد الرحيم مصطفى ، علاقات مصر بتركيا ، دار المعارف ، القاهـــــرة ، ١٩٦٧ ، ص ٧٦.

٩- الياس الايوبي ، المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

١٠-احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٧٦-٧٧.

١١-جورج يانج ، تاريخ مصر في عهد المماليك الى نهاية عهد اسماعيل ، ترجمة : علي احمد شكري ، ط٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص ٣٨٩.

١٢-المصدر نفسه، ص٢٣٩-٢٤٠؛عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، دار النهضة ، بيروت ، د.ت ، ص ٣٢٦.

١٣-احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٢٩-٣٠.
١٤-عمر الاسكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح الى قبيل الوقت الحاضر ، ط٢، مكتبة مدبولـي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص٢١٩.
١٥-عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٤٨.
١٦-الياس الايوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣-١٨٧٩ ، المجلد الاول ،ط٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص٤٨-٤٩.
١٧-جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٢٤٠.
١٨-ارفع اوسمة الدولة العثمانية .
عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق ،المصدر السابق ،ص ٣٢٧.
١٩-المصدر نفسه .
٢٠-الياس الايوبي، المجلد الاول ، المصدر السابق ،ص٥٣.
٢١-ابراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،د.م ، د.ت ، ص ٣١٧.
٢٢-احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٣٦-٣٧.
٢٣-عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص ٢١٣.
٢٤-لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩.
٢٥-بيتر كرابيتيس ، المصدر السابق ، ص ٥٧-٥٨.
٢٦- لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٩٠.
٢٧- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص ٢١٩.
٢٨- ولد بوغوص نوبار باشا في ازمير عام ١٨٢٥ ، من اصل ارمني ، كان والده من كبار موظفي مصر في عهد محمد علي باشا ، تلقى تعليمه في جنيف وباريس ، عاد الى مصر عام ١٨٤٢ ، حصل على لقب الباشوية في عهد اسماعيل باشا عام ١٨٦٣ ، عين وزيراً للخارجية ، تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات في الاعوام ١٨٧٨و١٨٨٤و١٨٩٤ ، توفـــي عام ١٨٩٩.للمزيد ينظر :-
مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية والجغرافية ، ج١٨، الشركة العالمية للموسـوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص١-٢.
٢٩- مصطفى فاضل ، ولد عام ١٨٣٠ ، وهو شقيق اسماعيل باشا ، اصبح ولياً للعهد عندما اصبح اسماعيل باشا والياً على مصر عام ١٨٦٣ ، توفي عام ١٨٧٥.للمزيد ينظر :-اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني . حياته واحداث عهده ، مكتبة دار الانبار للنشر ، العـراق ، ١٩٨٧ ، ص.٦١
٣٠-احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص٦١-.٦٢
٣١- الياس الايوبي، المجلد الاول ، المصدر السابق ،ص.٣٨٠
٣٢- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص .٢١٩
٣٣- صلاح احمد هريدي علي ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، ج٢،ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص .٦٤
٣٤- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص٦٣-.٦٤
٣٥- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٢٤٠-٢٤١؛ ناصر الانصاري ، تاريخ مصر . النظم السياسيـــة والادارية ، ط٢، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧،ص.٢٤٨
٣٦- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص٦٤؛ عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ، المصدر السابق ، ص .٢٤٩
٣٧- جمعية تركيا الفتاة ، يرجع تأسيسها الى عام ١٨٦٢ ، فبعد ان تولي فؤاد باشا منصب الصدر الاعظم عزل الامير مصطفى فاضل من نظارة المالية ، فعلى اثر ذلك قدم مصطفى فاضل لائحة كشف فيها الغطاء عن عورات الدولة واوضح اسباب ضعفها وانحطاطها ، وبعدها سافر الى باريس عام ١٨٦٥.للمزيد ينظر :-
غرتلو يوسف بك اصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الان ، تقديم : محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٥ ،ص١٢٣-.١٢٤
٣٨- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج٤، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٥، ص٤٣-٤٤.
٣٩- اورخان محمد علي ، المصدر السابق ، ص٦١-.٦٢
٤٠- للمزيد من التفاصيل ينظر: الياس الايوبي ، المجلد الاول ،المصدر السابق ،ص ٣٨٢-٣٨٤.
٤١- جزيرة كريت ، من اكبر الجزر اليونانية ، والخامسة في البحر المتوسط بعد صقليا وسردينيا وكورسيكا وقبرص ، بدأت محاولات الدولة العثمانية للسيطرة عليها منذ عام ١٦٤١ ، وسقطت عاصمتها هيراكليون عام ١٦٦٩ بعد حصار وقتال دام عشرين سنة ، وقد اعتنق الآف الكريتيين الدين الاسلامي . كما هاجر عدد كبير من العثمانيين الى جزيرة كريت للاقامة فيها ، فاصبح سكانها مناصفة تقريباً بين مسلمين ومسيحيين ، وقسمت الى ثلاثة سناجق ، وبعد مدة ساءت الاوضاع في الجزيرة ، وظهرت بوادر النزاع بين العثمانيين والكريتيين .للمزيد ينظر :-

مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج٢٠ ، الشركة العالمية للموســوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٧٥-٥٧٦.
٤٢- محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ص .٢٩٥
٤٣- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص.٣٩٠
٤٤- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص٧٨-٧٩.
٤٥- الياس الايوبي ، المجلد الثاني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٧.
٤٦- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص.٨٢
٤٧- للمزيد من التفاصيل ينظر :المصدر نفسه ، ص ٨٥-.٨٧
٤٨- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٣٩١-٣٩٢.
٤٩- الياس الايوبي ، المجلد الثاني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧؛ محمد فريد المحامــي ، المصدر الســـابق ، ص .٢٩٦
٥٠- لقب الخديوي ، هو نعت فارسي يعني (الامير)
Arther Goldschmidt JR, , Op.Cit. , p. 78 .
٥١- بيتر كرابيتيس ، المصدر السابق ، ص ١٤٨.
٥٢- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص .٦٤
٥٣- جاد طه ، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت ، ص .١٣٢
٥٤- المصدر نفسه ، ص ١٣٢؛ جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٢٤١-.٢٤٢
٥٥- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ، ص .٢٥١
٥٦- محمد الفاتح امين عالي باشا ، ولد في الاستانه عام ١٨١٥ ، نجل صاحب متجر صغير في السوق المصري ، احد رجال الدولة الاكثر تميزاً للاصلاح والتنظيمات في حقبة القرن التاسع عشر ، تولى منصب الصدر الاعظم خمس مرات ، ووزير خارجية ثمان مرات ، توفي عام ١٨٧١. للمزيد ينظر :-
Gabor Agoston and Bruce Masters,Op . Cit. , p.36.
٥٧- محمد فريد ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧.
٥٨- الياس الايوبي ، المجلد الثاني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠.
٥٩- الياس الايوبي ، المجلد الاول ، المصدر السابق ، ص .٣٩٣
٦٠- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص.٣٩٢
٦١- الياس الايوبي ، المجلد الثاني ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠-٢٤١.
٦٢- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص.١١٣
٦٣- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ، ص .٢٥١
٦٤- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص.٢٤٢
65- "Le Caire, M´etrop ole du Monde Arabe" , HAL .Archives- Id: halshs-00361536 , Paris , 2002, p. 4.
٦٦- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٢٤٢
٦٧- محمد فريد المحامي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨.
٦٨- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧.
٦٩- للمزيد ينظر :
المصدر نفسه ، ص ٢٤٩-.٢٥٤
٧٠- ولد الامير محمد توفيق عام ١٨٥٢ ، انحصر تعليمه في المستوى التجهيزي (الثانوي) ، قلده والده رئاسة المجلس المخصوص عام ١٨٧١ ، وولى وزارة الداخلية والاشغال ، ورئاسة الوزارة في اذار ١٨٧٩ ، اصبح خديوي مصر في حزيران ١٨٧٩ ، توفي عام ١٨٩٢. للمزيد ينظر :-
مسعود الخوند ، ج١٨ ، المصدر السابق ، ص ١.
٧١- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤-.٢٥٦
٧٢- مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل . مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص .٥٢٢
٧٣- لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .
٧٤- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦.
75- Adam Mestyan , Art and Empire Khedive Ismail and The Founation Of The Caior Opera House , Hungary , 2007, p. 64.
٧٦- احمد عوف ، احوال مصر من عصر لعصر من الفراعنة الى اليوم ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهـرة ، د.ت ، ص ١٢٥.
٧٧- الياس الايوبي ، المجلد الاول ،المصدر السابق ، ص .٤١٠

٧٨- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص .٦٥
٧٩- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٥١.
٨٠- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص.١٢١
٨١- المصدر نفسه ، ص .١٢٥
٨٢- الياس الايوبي ، المجلد الاول ،المصدر السابق ، ص ٤١٢.
٨٣- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٢٥-١٢٦.
٨٤- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤.
85- Arther Goldschmidt JR, Op.Cit ., p. 78 . .
٨٦- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص .٢٤٦
87- Adam Mestyan,Op. Cit .,p.62.
88- Derek James Overton , Some Aspects Of Induced Development in Egypt Under Muhammad Ali Pasha and Khedive Ismil , Simon Fraser University ,British Columbia, 1971, p.123.
٨٩- نجيب صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٤.
٩٠- محسن شيشكلي ، دراسات في المجتمع العربي ، مديرية دار الكتب والمطبوعات الجامعية ، حلب ، ١٩٦٥، ص.١٢٩
٩١- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص.٢٤٣
٩٢- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٥١ - ٢٥٢.
٩٣- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص .٢٨٢
٩٤- جورج جندي وجاك تاجر ، اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧، ص٣٧.
٩٥- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص .٦٦
٩٦- محمد صبري ، تاريخ العصر الحديث من محمد علي الى اليوم ،ط٢، مطبعة مصر ، مصر ، د.ت ، ص١٠٣-.١٠٤
٩٧- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٥٢؛ محمد فريد المحامي ، المصدر السابق ، ص .٣٠٤
٩٨- مسعود الخوند ، ج ١٨ ، المصدر السابق ، ص .١
٩٩- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ، ص ٢٥٢-.٢٥٣
١٠٠- بيتر كرابيتيس ، المصدر السابق ، ص .١٩٦
١٠١- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٥٣-.٢٥٤
١٠٢- محمد صبري ، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦،ص١٢٢-١٢٣ .
١٠٣- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص .٢٨٢
١٠٤- الياس الايوبي ، المجلد الاول ،المصدر السابق ، ص .٤٩٢
١٠٥- بيتر كرابيتيس ، المصدر السابق ، ص .١٩٨
106- Ekrem Buğra Ekinci, OSMANLI MAHKEMELERİ , TURKEY-ISTANBUL , 2003 , p. 300-301.
١٠٧- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣-.٢٢٤
١٠٨- الياس الايوبي ، المجلد الاول ،المصدر السابق ، ص ٤٩٣-٤٩٤.
١٠٩- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص.٢٩٣
١١٠- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢-٢٨٣.
١١١- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٥٥.
١١٢- عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ص .٢٨٣
١١٣- جورج جندي وجاك تاجر ، المصدر السابق ، ص.٩٠
١١٤- احمد طربين ، تاريخ المشرق العربي المعاصر ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٨٥، ص.١٥١
١١٥-ملف العالم العربي الحديث ، الدار العربية للوثائق ، م-١/١٧١٧، رقم الوثيقة ١٩٣١، بيروت – لبنان ، ٢٤ حزيران ١٩٨١؛ محمد فرج ، تاريخ الامة العربية من الاحتلال العثماني الـــــــى مؤتمر القمة العربـــي (١٥١٤-١٩٦٤) ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت ، ص .٩٩
١١٦- احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص.١٨٩
١١٧- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٣٩٢-.٣٩٣
١١٨- محمد مراد الخامس ، انخرط في سلك الماسونية ، وكان على اتصال بنامق كمال احد اعضاء الحركة ، ومدة ولايته كانت ثلاث وتسعين يوماً ، اذ خلع لاصابته بمرض عقلي ، تعافى منه بعد مدة من عزله ، وامضى باقي حياته في قصر جراغان حتى توفى عام ١٩٠٤ عن عمر ناهز الرابعة والستين .للمزيد ينظر :-

عيسى الحسن ، تاريخ العرب منذ بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية ،ط١، الدار الاهلية ، عمان ، ٢٠٠٨، ص ٦٥٩-٦٦٠.
١١٩- اورخان محمد علي ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٤.
١٢٠- مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية والجغرافية ، ج٦، الشركة العالمية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص٢٠٥؛ محمد فريد المحامي ، المصدر السابق ، ص ٣١٩.
121- Richard G.Hovannisian , The Eastern Question and The Tanzimat Era , New Yourk ,N.D.,P.198. .
١٢٢- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج١، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص٣٢١.
١٢٣- احمد عبدالرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٩٠-١٩١.
١٢٤- عبد الحميد ، هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية ، ولد في الحادي والعشرين من ايلول ١٨٤٢ ، وقد تلقى تعليماً منتظماً في القصر السلطاني على ايدي نخبـــة ممتازة ، وتعلم من اللغات العربية والفارسية ودرس التاريخ واحب الادب والشعر ، توفي عام ١٩١٨.للمزيد ينظر :-
"Biography Of Sultan Abdul Hameed ii and Fall Of The Islamic Khilafah ", N.P., N.D., P.1-5.
١٢٥- احـــــمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، ط٣، دار الشروق ، القاهـــــــرة ، ٢٠٠٣، ص٢٣٢-٢٣٣.
١٢٦- عبد العزيز محمد الشناوي ،ج١، المصدر السابق ، ص .٣٢٢
١٢٧- زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط١، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١٠، ص٣٦٣.
١٢٨- احمد عبدالرحيم مصطفى ، علاقات مصر بتركيا ، المصدر السابق ،ص١٩٢-١٩٣.
١٢٩- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧-١٩١٢، دار المعرفة ، مصـــــر ،١٩٩٣، ص٣٣٧.
١٣٠- محمد فرج ، المصدر السابق ، ص.٩٩
١٣١- تعود المنازعات الروسية العثمانية الى منتصف القرن السادس عشر ، الا ان السياسة المعادية للدوله العثمانية لم تاخذ شكلها النهائي في العلاقات الروسية الخارجية الا في نهاية القرن السابع عشر . للمزيد ينظر :-
جـــــــاك كرابس جونيور ، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر . دراسة في التحول الوطنـــــــي ، ترجمة : عبد الوهاب بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص.٢٢٣
١٣٢- عيسى الحسن ، المصدر السابق ، ص٦٧١-٦٧٢.
١٣٣- جورج يانج ، المصدر السابق ، ص٣٩٤-٣٩٥.
١٣٤- عيسى الحسن ، المصدر السابق ، ص٦٧٣.
١٣٥- غرتلو يوسف بك اصاف ، المصدر السابق ، ص.١٣٣
136- A.J.P.Taylor,The Struggle For Mastery in Europe 1848-1918, N.P., 1954,p.228.
١٣٧- نجيب صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٧-٢٨.
١٣٨- محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب ، تاريخ العرب الحديث ، الدار الاهلية ،عمـــان ، ١٩٨٩، ص ٩٧؛ امين سامي باشا ، تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا ، المجلد الثالث، ج٣ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٦، ص ١٥٥٢-١٥٥٥.
١٣٩- مكي شبيكة ، المصدر السابق ، ص٥٢٨؛ عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ مصر الاجتماعي ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ٣٢٨-٣٢٩.
١٤٠- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب ،المصدر السابق ،ص ٢٨٠؛ جرجـــــي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ،ج٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩،ص٢١٥.
١٤١- عمر الاسكندري وسليم حسن ، المصدر السابق ، ص .٢٥٦
١٤٢- عبد العزيز محمد الشناوي ،ج٤،المصدر السابق ، ص .٣٣٩
١٤٣- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢.
١٤٤- جميل بيضون واخرون ، تاريخ العرب الحديث ، ط١، دار الامـــــل ، د.م ، ١٩٩١، ص ١٠٠؛ جرجي زيدان ، المصدر السابق ، ص ٢١٥-٢١٦؛ ناصر الانصاري ، المصدر السابق ، ص٢١٩..

المصادر

اولاً : الوثائق المنشورة.

أ- باللغة العربية

١- ملف العالم العربي الحديث ، الدار العربيـــة للوثائق ، م-١٧١٧/١، رقم الوثيـــــقة ١٩٣١، بيروت –لبنان ، ٢٤ حزيران ١٩٨١.

ب- باللغة الفرنسية .

1- "Le Caire, M´etrop ole du Monde Arabe" , HAL Archives Id : halshs-00361536 , Paris , 2002.

ثانياً : الكتب الوثائقية .

١- احمد عبد الرحيم مصطفى ، علاقات مصر بتركيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧.

٢- جورج جندي وجاك تاجر ، اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧.

ثالثاً : الموسوعات .

أ- باللغة العربية .

١-- مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية والجغرافية ، ج٦، ج ١٨،ج٢٠، الشركة العالمية للموسـوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤.

ب- باللغة الانكليزية .

ت- Gabor Agoston and Bruce Masters , Encyclopedia Of The Ottoman Empire , New Yourk , 2009 .

رابعاً: الكتب

أ- الكتب العربية والمعربة .

١- ابراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،د.م ، د.ت.

٢- احمد طربين ، تاريخ المشرق العربي المعاصر ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٨٥.

٣- احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، ط٣، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٤- احمد عوف احوال مصر من عصر لعصر من الفراعنة الى اليوم ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت.

٥- الياس الايوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣-١٨٧٩ ، المجلد الاول ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.

٦- الياس الايوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا من سنه ١٨٦٣ الى ســـنة ١٨٧٩ ، المجلد الثاني ، ط٢ ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ١٩٩٦.

٧- امين سامي باشا ، تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا ،المجلد الثالث ،ج٣ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٦.

٨- اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني . حياته واحداث عهده ، مكتبة دار الانبار للنشر ، العراق ، ١٩٨٧.

٩- بيتر كرابيتس ، اسماعيل المفترى عليه ، ترجمة : فؤاد صروف ، دار النشر الحديث ، القاهرة ، د.ت .

١٠- جاد طه ، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت.

١١- جاك كرابس جونيور ، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر . دراسة في التحول الوطني ، ترجمة : عبد الوهاب بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣.

١٢- جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ،ج٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩.

١٣-- جميل بيضون واخرون ، تاريخ العرب الحديث ، ط١، دار الامل ، د.م ، ١٩٩١.

١٤- جورج يانج ، تاريخ مصر في عهد المماليك الى نهاية عهد اسماعيل ، ترجمة : علي احمد شكري ، ط٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.

١٥- - زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط١، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١٠.

١٦- - صلاح احمد هريدي علي ، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، ج٢،ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٧.

١٧- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ مصر الاجتماعي ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٨٨.

١٨- عبد العزيزمحمد الشناوي،الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها،ج١،مكتبة الانجلو،القاهرة ، ٢٠٠٤.

١٩- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج٤، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٥.

٢٠- عمر الاسكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح الى قبيل الوقت الحاضر ، ط٢، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.

٢١- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، دار النهضة ، بيروت ، د.ت.

٢٢- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ١٥١٧-١٩١٢، دار المعرفة ، مصر ،١٩٩٣.

٢٣- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠.

٢٤-عيسى الحسن ، تاريخ العرب منذ بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية ،ط١، الدار الاهلية ، عمان ، ٢٠٠٨.
٢٥-غرتلو يوسف بك اصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الان ، تقديم : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٥.
٢٦-لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة : عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١.
٢٧-- محسن شيشكلي،دراسات في المجتمع العربي،مديرية دار الكتب والمطبوعات الجامعية ، حلب، ١٩٦٥.
٢٨-محمد صبري ، تاريخ العصر الحديث من محمد علي الى اليوم ،ط٢، مطبعة مصر ، مصر ، د.ت.
٢٩-محمد صبري ، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.
٣٠-محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب ، تاريخ العرب الحديث ، الدار الاهلية عمان ، ١٩٨٩.
٣١- محمد فرج ، تاريخ الامة العربية من الاحتلال العثماني الى مؤتمر القمة العربي ١٥١٤-١٩٦٤) ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت.
٣٢-محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت.
٣٣-مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل . مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥.
٣٤-نجيب صالح ، تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦-١٩٥٦ دار اقرأ ، بيروت ، ١٩٨٥.
٣٥- ناصر الانصاري ، تاريخ مصر . النظم السياسية والادارية ،ط٢،دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧.

ب- باللغة الانكليزية .

1- Adam Mestyan , Art and Empire Khedive Ismail and The Founation Of The Caior Opera House , Budapest , Hungary , 2007.
2- A.J.P.Taylor,The Struggle For Mastery in Europe 1848-1918, N.P,1954.
3- Arther Goldschmidt JR., Abrief History Of Egypt , New Yourk , 2008
4-"Biography Of Sultan Abdul Hameed ii and Fall Of The Islamic Khilafah ",N.P.,N.D.
5- Derek James Overton , Some Aspects Of Induced Development in Egypt Under Muhammad Ali Pasha and Khedive Ismil , Simon Fraser University , British Columbia ,1971.
6- Richard G.Hovannisian , The Eastern Question and The Tanzimat Era , New Yourk,N.D.

جـ -باللغة التركية.

1-Ekrem Buğra Ekinci, OSMANLI MAHKEMELERİ , TURKEY-ISTANBUL , 2003.